قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الجرح والتعديل عند الصحابيات – دراسة تطبيقية

Linguistic Economy in Arabic: A Study of Ellipsis and Abbreviation

م.د. أنغام حاتم عبود علي*

جامعة بغداد– كلية العلوم الإسلامية

Keywords:

Al-Jarh - al-Mudham - Sahabiyat - ta'seel - rules

Abstract

This research deals with the issue of injury and modification among the Companions, may God be pleased with them; In terms of the concept, the relationship, and their practice based on reality, and the order based on the practice, I have an effect on the establishment of the rules of this science and the development of the methodology. He has followed the inductive method in observing the al-Jarh models and the modifications attributed to the Companions in the original sources, using the descriptive-analytical method in reading these models and explaining the scientific meanings.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول:١/٦/٢٠٢٦

الكلمات المفتاحية:

-الـ تعديـ ل -الـ جرح
-الـ صحابـ يات
قـ واعدـ تـ أصـ يل

ملخص

يتناول هذا البحث مسألة الجرح والتعديل عند الصحابيات رضوان الله عنهن؛ من حيث مفهومه وضوابطه وممارستهن له على أرض الواقع، وما ترتّب على تلك الممارسة من أثر في البحث المنهج الاستقرائي في رصد تـ أصـ يل قـ واعد هذا الـ عـ لم وتـ طويـ ر مـ نهجه. وقـ د سـ لك نماذج الجرح والتعديل المنسوبة إلى الصحابيات في المصادر الأصيلة، مستعيناً بالمنهج الوصفي الـ تحـ ليـ لي فـ ي قـ راءة تـ لك الـ نماذج وبـ يان دلالاتـ ها الـ عـ لمـ ية.

* **M.D. Angham Hatem Abboud Ali**

angham.hatem@cois.uobaghdad.edu.iq

١. المقدمة

إن ممارسة الصحابيات للجرح والتعديل لم تكن عفوية مجردة عن أصول، بل قامت على جملة من الأسس المنهجية الراسخة، أبرزها: عرض الخبر على القرآن الكريم وما صحّ من السنة، ومقارنة الروايات وتمييز الأضبط منها، والاعتماد على العلم المباشر والمشاهدة الشخصية، والفصل الدقيق بين الخطأ العارض الذي لا يُسقط الراوي والجرح المؤثر الذي يقتضي ردّ روايته. وقد جسّدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أبرز نماذج هذا الممارسة وأكثرها توثيقاً في المصادر، في حين أسهمت أسماء بنت أبي بكر، وأم سلمة، وحفصة بنت عمر، وأم عطية الأنصارية، وفاطمة بنت قيس، وميمونة بنت الحارث رضوان الله عليهن بنماذج مكمّلة تُغني الصورة وتُرسّخها.

وخلص البحث إلى أن الصحابيات أرسين بممارستهن هذه أصولاً مبكرة صارت قواعد علمية راسخة في علم الجرح والتعديل، وفي مقدمتها: التمييز بين ردّ الرواية وردّ الراوي، والتصحيح بتقديم البديل الصحيح لا بالإسقاط المجرد، وتقييد الجرح بالبيّنة والدليل دون تعدٍّ أو هوى. وقد نصّ أئمة هذا الفن كابن عدي والذهبي وابن حجر رحمهم الله على مكانة عائشة رضي الله عنها في هذا الميدان، واعتبروا ما صدر عنها من نقد ومراجعة واستدراك من الروافد الأولى التي قامت عليها ممارسة الجرح والتعديل في تاريخ علم الحديث.

٢.المبحث الأول: مفهوم الجرح والتعديل وضوابط ممارسته عند الصحابيات

يُعنى هذا المبحث بتحديد مفهوم الجرح والتعديل تحديداً علمياً دقيقاً، وبيان مكانته في علم الحديث، ثم الكشف عن الأسس والضوابط التي انطلقت منها الصحابيات رضوان الله عنهن في ممارسة هذا الفن. فقيام الصحابيات بالجرح والتعديل لم يكن مجرد تعليق عاطفي على الروايات، بل كان عملاً علمياً منبثقاً من معرفة راسخة بالسنة وما يقتضيه الفهم الدقيق لأحوال الرواة وضبط ما ينقلونه.

١.٢.المطلب الأول: تعريف الجرح والتعديل لغةً واصطلاحاً ومكانته في خدمة السنة

أولاً: مفهوم النقد وصلته بعلم الجرح والتعديل لغةً واصطلاحاً.

النقد في اللغة مأخوذ من مادة «ن ق د»، وأصله يدل على التمييز بين الجيد والرديء. قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: «النون والقاف والدال أصل يدل على إبراز شيء وتمييزه عن غيره». ويقال: نَقَدَ الدراهمَ نَقداً إذا ميّز جيدها من رديئها وأخرج المزيّف منها. ومن هذا الأصل المعنوي يُقال: ناقَده في القول إذا تتبّع مواطن الخطأ فيه وميّز صحيحه من سقيمه.

وفي الاصطلاح الحديثي يُراد بالنقد: النظر في الخبر من جهتين متلازمتين لا يكتمل البحث إلا بهما معاً؛ أولاهما جهة السند وهي الوقوف على أحوال الرواة ومعرفة اتصال الرواية وانقطاعها، وأخراهما جهة المتن وهي فحص المعنى وسلامته من المخالفة أو الاضطراب أو الوهم. وعلم الجرح والتعديل هو الركيزة الأولى في هذه العملية النقدية؛ إذ يُحكم من خلاله على الراوي من حيث عدالته وضبطه، ثم يترتب على ذلك قبول الرواية أو ردّها أو التوقف فيها.

ثانياً: تعريف الجرح والتعديل لغةً واصطلاحاً.

الجرح في اللغة مأخوذ من مادة «ج ر ح»، وأصله التأثير في الجسد بحديد أو سلاح ونحوهما ثم استُعير للتأثير في عِرض الراوي وسمعته بالكلام القادح الكاشف عن ضعفه وعدم الاحتجاج بروايته. والتعديل مأخوذ من مادة «ع د ل»، وهو مصدر عدّله يعدِّله إذا نسبه إلى العدالة وشهد له بالاستقامة والصدق. قال الجوهري في الصحاح: «التعديل: تقويم الشيء»، ومنه قيل: عُدِّل الشاهد إذا وُصف بالاستقامة وسلامة الحال.

أما في الاصطلاح الحديثي فقد عرّف حاجي خليفة علم الجرح والتعديل بقوله: «علم يبحث عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ». وهو من أخص العلوم الخادمة للسنة النبوية؛ لأن الحكم على المتن صحةً أو ضعفاً يتوقف على معرفة رجاله ومبلغ ضبطهم وعدالتهم. وهذا ما أشار إليه الإمام علي بن المديني رحمه الله بقوله: «معرفة الرجال نصف العلم»، مؤكداً أن الحكم على الخبر لا يستقيم ما لم يُحسَم أمر ناقله.

وقد وضع أئمة الحديث علم الجرح والتعديل في أعلى مراتب العلوم خدمةً للسنة، فقال ابن الصلاح رحمه الله: «أجلّ أنواعه وأفخمه لأنه المرقاة إلى معرفة صحيح الحديث من سقيمه». وهذه المرتبة الرفيعة لا تُعطى إلا لعلم يقوم بحراسة الشريعة من الدخيل؛ وقد صرّح الخطيب البغدادي بأن «الجرح والتعديل مشروعان بالكتاب والسنة والإجماع، ومقصودهما صون الشريعة من الدخيل ومن القول على الله بغير علم».

غير أن هذا العلم في علو شأنه مقيّد بضوابط صارمة؛ فلا يُباح الجرح بحثاً عن عيوب الناس ولا استجابةً لهوى نفسي، ولا يُقبل التعديل نتيجةً لمحبة أو ميل. وقد حذّر الذهبي رحمه الله من التساهل فيه حين قال: «الكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تام وبراءة من الهوى والميل، وخبرة كاملة بالحديث وعلله ورجاله». وفي ضوء هذه الحقيقة يتبيّن أن مشاركة الصحابيات في هذا الفن تُحمل على محملها الصحيح: هو الذود عن السنة لا التجني على الرواة، والتثبت من صحة الخبر لا التشكيك في الرجال.

٢.٢.المطلب الثاني: الأسس التي اعتمدت عليها الصحابيات في ممارسة الجرح والتعديل

لا تقوم ممارسة صحيحة لعلم الجرح والتعديل إلا على جملة من الأسس والضوابط التي تصون الحكم من الهوى وتضعه في مكانه العلمي الصحيح. وبتتبع ما وصل إلينا من صنيع الصحابيات في نقد الروايات والرواة يمكن استخلاص سبعة أسس حكمت ممارستهن لهذا الفن؛ وكلها أسس صارت لاحقاً من ثوابت علم الجرح والتعديل عند أهل الحديث.

الأساس الأول: الجمع بين الرواية والدراية. اشترط المحدثون في من يتصدى للجرح والتعديل أن يكون عالماً بالرواية دارياً بالدراية، وهذا ما كان متحققاً في كثير من الصحابيات. فقد روى مسلم بن إبراهيم شيخ البخاري رحمه الله عن سبعين امرأة، وبلغت شيخات ابن عساكر وابن النجار والذهبي وابن حجر والسخاوي أعداداً كبيرة تكشف أن المرأة لم تكن بمعزل عن مجال الرواية والتعليم الحديثي.

الأساس الثاني: رسوخ المعرفة الحديثية وعلو المكانة العلمية. كانت جملة من الصحابيات يؤخذ عنهن العلم ويُستفتى في أحكام الحديث والفقه، وهذه المكانة هي التي تجعل قولهن في الرواة معتبراً محتجاً به. فكريمة المروزية (ت: ٤٦٣هـ) أول امرأة درّست صحيح البخاري وتتلمذ على يديها كبار علماء عصرها، وهذا شاهد على أن المرأة بلغت في بعض العصور مبلغاً من العلم يؤهلها لتعليم من يُعلّمون بدورهم.

الأساس الثالث: القدرة على الفهم والاستدلال لا مجرد الحفظ. الجرح والتعديل فعلٌ استدلالي لا تسجيلي؛ يقتضي استحضار الدليل وتطبيق القاعدة وإصدار الحكم. وقد كانت الصحابيات تُدلين برأيهن في الروايات مستندات إلى نصوص قرآنية أو أحاديث أقوى سنداً أو وقائع شهدنها بأنفسهن. ولخّص أبو شهبة شروط الناقد الجامعة بقوله: «على من يتصدى للنقد... أن يكون عالماً دينياً تقياً ورعاً صادقاً، عارفاً بأسباب الجرح والتعديل، وأن لا يتكلم في النقد إلا عن بينة ودليل». وهذا الوصف ينطبق على كثير من الصحابيات اللواتي تكلمن في الرواية.

الأساس الرابع: الورع عند إصدار الحكم والبعد عن الهوى. من أجلّ ما يصون حكم الجرح والتعديل من الانحراف أن يكون مبنياً على الحق لا الميل. وفي قصة الإفك نموذج بليغ على هذا الأصل؛ إذ سأل النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله عنها عن حال عائشة، وكان بينهما تنافس، فعصمها الله بالورع فقالت: «أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً». وقد أشار ابن حجر رحمه الله إلى أن في هذا الصنيع «حجة لجواز تعديل النساء»؛ لأن التعديل الصادر عن ورع وإنصاف هو الحجة البالغة.

الأساس الخامس: عرض الرواية على الأصول الأقوى. لا يُسوِّغ جرح الراوي بدعوى مخالفة روايته لشيء أضعف منها في الثبوت، بل يجب أن يُقابَل الخبر بما هو أثبت منه دلالةً وثبوتاً. وكانت الصحابيات يُطبّقن هذا الأصل بعرض الروايات التي تخالف نصاً قرآنياً صريحاً أو حديثاً أصح سنداً أو واقعةً شهدنها بأنفسهن، وفي كل حال كان الحكم على الرواية يستند إلى بيّنة لا إلى مجرد استحسان.

الأساس السادس: مقارنة الروايات واختيار الأضبط. ربما جاءت رواية صحيحة في أصلها غير أن الراوي أوهم في تفصيل من تفاصيلها كتحديد زمان أو مكان أو عدد؛ فيُحمل خطؤه على السهو لا على الكذب، وتُقدَّم الرواية الأضبط في ذلك التفصيل. وقد عملت الصحابيات بهذا الأصل في مواضع عدة فرددن الوهم في التفاصيل مع الإقرار بصحة أصل الرواية، وهذا من أدق مسالك النقد الحديثي.

الأساس السابع: الفصل بين الخطأ العارض والجرح المؤثر. ليس كل خطأ يقع من الراوي موجباً لردّ جميع روايته أو القدح في عدالته؛ فالثقة قد يهم ويسهو دون أن يُسقطه ذلك من مرتبة الثقات. وقد طبّقت الصحابيات هذا التمييز الدقيق في مواضع بارزة؛ فردّت عائشة رضي الله عنها بعض الروايات مع إثبات صدق الراوي وعدالته وإحسان الظن به، وهذا بعينه ما درج عليه المحدثون لاحقاً في التمييز بين الجرح الخفيف والجرح المغلّظ.

وبذلك يتضح أن الأسس التي اعتمدت عليها الصحابيات في ممارسة الجرح والتعديل أسس علمية متكاملة، لا تصدر عن تعسف أو هوى، بل تنبثق من معرفة راسخة بالسنة وبمنهج النقد الحديثي الذي ستُقنّنه الأجيال اللاحقة في كتب مستقلة.

٣.المبحث الثاني: نماذج الجرح والتعديل عند الصحابيات في المصادر الأصيلة

ينتقل البحث في هذا المبحث من التأصيل النظري إلى الدراسة التطبيقية، فيعرض ما ثبت في المصادر الأصيلة من ممارسة الصحابيات للجرح والتعديل، مرتّباً ذلك ترتيباً ألفبائياً مع تعريف موجز بكل صحابية وبيان أثر صنيعها في قواعد هذا العلم. وتكشف هذه النماذج في مجموعها أن الصحابيات لم يكنّ على هامش هذا الجهد العلمي الكبير، بل كنّ حاضرات فيه بأسلوب علمي رصين يعكس عمق معرفتهن وسلامة منهجهن.

١.٣.المطلب الأول: الصحابيات الممارسات للجرح والتعديل في المصادر الأصيلة

قبل عرض النماذج ينبغي تقرير أن مشروعية الجرح والتعديل ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، لا للتشهير بالرواة ولكن لصون السنة من الوهم والكذب. وقد أثبت الحاكم النيسابوري أن الصحابة

الكرام رضوان الله عليهم كانوا يمارسون هذا الفن فعلاً؛ إذ «جرّحوا وعدّلوا وبحثوا عن صحة الروايات وسقمها»، ولم يكن ذلك حكراً على الرجال دون النساء.

أولاً: أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها – التجريح المستند إلى النص النبوي.

التعريف بها: هي أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمية القرشية، المكنّاة بذات النطاقين؛ لأنها شقّت نطاقها لتربط به زاد النبي صلى الله عليه وسلم وأبيها حين هاجرا. وُلدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وأسلمت قديماً وكانت السابعة عشرة في الإسلام. توفيت بمكة المكرمة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة عن مائة سنة. وهي أخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأبيها. روي عنها نحو ثمانية وخمسين حديثاً، وروى عنها جمع من الصحابة والتابعين.

أخرج مسلم رحمه الله في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت في الحجاج بن يوسف الثقفي: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: في ثقيف كذاب ومبيّر. فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبيّر فلا إخالك إلا إياه».

هذا النموذج من أرفع صور الجرح العملي؛ لأنه يقوم على ربط الحكم بنص نبوي ثابت تحقّقت فيه صفة المجروح بما يُعاينه الناس ولا خفاء فيه. فأسماء رضي الله عنها لم تجرح الحجاج بدافع شخصي أو من فراغ، بل استنطقت الحديث النبوي وطبّقت وصفه على الواقع الذي أثبت صدقه. وفي هذا أصل نقدي مكين: الجرح لا يصحّ إلا إذا قام على شاهد وبيّنة تُغني عن الظن وتسدّ باب الهوى.

ثانياً: أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها – ضبط الرواية بالمراجعة العلمية الصريحة.

التعريف بها: هي هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة المخزومية القرشية، أم المؤمنين. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها أبي سلمة رضي الله عنه. أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها الأول. توفيت سنة اثنتين وستين من الهجرة. تُعدّ من أكثر أمهات المؤمنين رواية إذ روي عنها نحو ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً، وكانت من أعلم نساء الصحابة وأحرصهن على صون السنة النبوية.

ومن شواهد مشاركتها في الجرح والتعديل ما روته المصادر من مراجعتها للنبي صلى الله عليه وسلم في شأن صلح الحديبية بما كان فيه الصواب، وهو موقف يكشف عن قدرة نقدية عالية وجرأة علمية مبنية على الفهم لا على المجازفة. وقد كانت تُدقّق في روايات أحكام الطهارة والصلاة وتُنبّه على ما يُشتبه فيه؛ وقد صار المحدثون يحتجون بروايتها في

تصحيح بعض الأخبار المعارضة ووضع كل رواية في موضعها الصحيح.

ثالثاً: أم عطية الأنصارية رضي الله عنها – الضبط التطبيقي الدقيق للسنة العملية.

التعريف بها: هي نسيبة بنت الحارث الأنصارية الخزرجية، صحابية جليلة شهدت بيعة الرضوان وغزوات متعددة مع النبي صلى الله عليه وسلم. اضطلعت بتغسيل الموتى وتعليم النساء أحكام الجنائز. روي عنها نحو أربعين حديثاً في أبواب الطهارة والجنائز والحج.

جاء ما أخرجه البخاري ومسلم عنها في وصف غسل أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً فريداً في الضبط الحديثي؛ إذ حفظت رضي الله عنها تفاصيل الغسل بعدد مراته واتجاهاته والمواد المستخدمة، فصار حديثها مرجعاً يُرجع إليه في تصحيح ما وقع من اضطراب في هذا الباب. وضبط الرواية بهذه الدقة المنهجية وعدم الخلط بين تفاصيلها هو في حقيقته عمل من أعمال الجرح والتعديل التطبيقي؛ لأنه يُعيّن ما يُقبل من الروايات في هذا الموضع وما يُردّ.

رابعاً: حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها – الضبط الكتابي والموثوقية العلمية.

التعريف بها: هي حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية، أم المؤمنين. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث من الهجرة. وُلدت قبل الهجرة بثماني عشرة سنة، وتوفيت سنة خمس وأربعين من الهجرة. كانت عالمة فقيهة ذات معرفة بالكتاب والكتابة، من القلة من النساء اللواتي أتقنّ القراءة والكتابة في صدر الإسلام. روي عنها نحو ستين حديثاً. أودعها أبوها عمر رضي الله عنه المصحف الأول مما يدل على ما اشتُهرت به من أمانة وضبط.

ومن دلائل ضبطها الحديثي أنها روت جملة من الأحاديث في أحكام الصيام والقيام، وقد استشهد بها المحدثون في تمييز الروايات المتعارضة والحكم على أيها أولى بالقبول. وهذا الاحتجاج بروايتها دليل على أنها كانت في مرتبة الثقة المعتمدة؛ وأن تعديلها ضمنياً من قِبل أهل الحديث كان سابقاً على أي تنظير في قبول رواية النساء أو ردّها.

خامساً: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها – الريادة في تأسيس علم الجرح والتعديل.

التعريف بها: هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمية القرشية، أم المؤمنين وزوج النبي صلى الله عليه وسلم. وُلدت قبل الهجرة بنحو أربع سنين، وتوفيت سنة ثمان وخمسين من الهجرة. روي عنها نحو ألفي حديث ومئتي حديث وعشرة أحاديث، وهي من أكثر الصحابة رواية. جمعت بين الرواية والفقه والفتوى والتعليم، وكان الصحابة

الكرام يرجعون إليها فيما أشكل عليهم مما يدل على موضعها الرفيع في العلم والدراية.

وقد أفرد ابن عدي رحمه الله لعائشة رضي الله عنها ذكراً في مقدمة كتابه الكامل في ضعفاء الرجال – وهو من أمهات مصادر هذا الفن – ضمن من تكلموا في الروايات والرواة من الصحابة الكرام وبيّنوا الصحيح من الضعيف. وقد وثّق أئمة الحديث مكانتها العلمية توثيقاً بالغاً؛ قال عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة». وقال الزهري: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء لكان علم عائشة أفضل».

أ – جرحها لرواية أبي الدرداء رضي الله عنه في مسألة الوتر:

ذكر ابن عدي بسنده أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال إن من أصبح ولم يكن قد أوتر فلا يوتر. فلما بلغ قوله عائشة رضي الله عنها قالت: «كذب أبو الدرداء»، واستندت إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم «كان يصبح فيوتر». فقابلت رواية أبي الدرداء بعلمها الشخصي المباشر المستمد من مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها. وإطلاق لفظ «كذب» هنا لا يراد به التكذيب المقصود؛ إذ جرت عادة العرب إطلاقه على مجرد مخالفة الواقع وإن حسنت النية.

ب – ردّها لوهم ابن عمر رضي الله عنهما في شأن عمرات النبي:

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير أنه قال لعائشة: يقول ابن عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب. قالت: «يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط». فقدّمت علمها الشخصي المباشر على ما رواه ابن عمر رضي الله عنه في تفاصيل التواريخ. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إن كثرة ملازمة الصحابي للنبي قد يدخله الوهم في بعض الحوادث لكثرة ما مرّ به من الوقائع».

ج – ردّها لوهم ابن عمر في رواية تعذيب الميت:

أخرج البخاري ومسلم أن عائشة رضي الله عنها سمعت رواية ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»، فردّتها وقالت: «يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ؛ إنما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها فقال: إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها». وعرضت الرواية على قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ معتمدةً هذا الأصل دليلاً على استحالة المعنى الذي فُهم من الرواية.

والملاحظ أنها في الحالين رفضت المعنى الخاطئ دون رفض الراوي؛ فوصفت ابن عمر بالنسيان والخطأ لا بالكذب المتعمد، وهذا جوهر الفصل بين الرواية والراوي الذي سيصير لاحقاً من أبرز قواعد الجرح والتعديل. وقد بلغ من كثرة استدراكات عائشة رضي الله عنها على الروايات أن أفرد لها الزركشي رحمه الله كتاباً مستقلاً بعنوان «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة».

سادساً: فاطمة بنت قيس رضي الله عنها – صمود الرواية أمام المراجعة النقدية.

التعريف بها: هي فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر الفهرية القرشية، صحابية فصيحة عاقلة هاجرت إلى المدينة. روي عنها نحو أربعة وثلاثين حديثاً. اشتُهرت بروايتها في أحكام الطلاق والنفقة، وروت حديث الجساسة والدجال بتفاصيله الدقيقة.

من دلالات منهجها أن روايتها في نفقة المطلقة البائن أثارت مراجعة عمر بن الخطاب وعائشة رضي الله عنهما، وهذا يعني أنها كانت موضع درس ونقد كما تُدرس روايات غيرها. وصمود الرواية أمام هذه المراجعة ثم استقرارها في المصادر الفقهية دليل على أن الرواية المتينة تصمد أمام النقد ولا تسقطها المراجعة. وهذا الصمود بعينه هو المحك الذي يُعتمد عليه في تعديل الراوي؛ لأن الرواية التي تتماسك أمام الفحص والمراجعة تشهد لصاحبها بالضبط والإتقان.

سابعاً: ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها – الضبط الدقيق وحجية الرواية.

التعريف بها: هي ميمونة بنت الحارث الهلالية، آخر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. تزوجها عام سبع من الهجرة في عمرة القضاء بسَرِف، وبها توفيت سنة إحدى وخمسين من الهجرة. روي عنها نحو ست وسبعين حديثاً. وكان ابن عباس رضي الله عنه – وهو خالها – يستشهد بروايتها ويحتجّ بها دليلاً في المسائل الفقهية.

يكشف اعتماد ابن عباس رضي الله عنه – وهو من فقهاء الصحابة وأعلمهم – على رواية ميمونة دليلاً ومرجعاً دلالةً بيّنة على أنها كانت في مرتبة الثقة الضابطة. وتعديل أهل العلم لها ضمنياً بالاحتجاج بروايتها في تصحيح المسائل المختلف فيها يُثبت أن روايتها كانت تُؤدي وظيفة التعديل العملي؛ وهو أن الرواية الصحيحة تُغني عن تعديل لفظي حين يُحتجّ بها فيُقدَّم قول راويها على سواه.

٢.٣.المطلب الثاني: أثر ممارسة الصحابيات في تأصيل قواعد علم الجرح والتعديل

ليست النماذج المتقدمة مجرد وقائع متفرقة، بل هي لبنات أساسية في بناء علم الجرح والتعديل. وتكشف

قراءتها المجمعة عن محاور أثّرت في تطور هذا العلم وترسيخ قواعده.

المحور الأول: إثبات أن جذور الجرح والتعديل ترجع إلى عصر الصحابة. لا يصحّ القول بأن علم الجرح والتعديل نشأ في القرن الثاني أو ما بعده وكأنه فرغ من فراغ؛ فالأمة منذ عهد الصحابة كانت تمارس هذا الفن شفهياً وعملياً. ولهذا قرّر ابن الصلاح رحمه الله أن «الكلام في الجرح والتعديل متقدم ثابت عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم»، والصحابيات جزء لا يُستهان به من هذا الجهد المبكر.

المحور الثاني: تأصيل قاعدة الفصل بين ردّ الرواية وردّ الراوي. أرسى ما صدر عن الصحابيات – ولا سيما عائشة رضي الله عنها – قاعدةً صريحة مفادها أن تصحيح الرواية أو ردّها لا يستلزم بالضرورة إسقاط الراوي أو تجريحه تجريحاً مطلقاً. فكم من راوٍ ثقة أُشير إلى وهمه في رواية بعينها مع الإبقاء على أصل توثيقه، وهذا التمييز الدقيق صار ركيزة من ركائز علم الجرح والتعديل.

المحور الثالث: تأصيل نقد المتن إلى جانب نقد السند. علم الجرح والتعديل في صورته المكتملة يُعنى بالراوي من حيث عدالته وضبطه، غير أن الضبط لا يُعرف إلا بمقارنة الروايات وفحص المتون. وقد طبّقت الصحابيات هذا المبدأ بعرض الروايات على القرآن، وعلى ما ثبت من السنة، وعلى ما شهدنه بأنفسهن؛ مما يُثبت أن نقد الإسناد ونقد المتن وجهان لعملة واحدة.

المحور الرابع: تعزيز الدليل على مشروعية الجرح والتعديل من النساء. استند الجمهور في قبول جرح المرأة وتعديلها إلى ما في السنة النبوية من اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم على جواب بريرة وزينب بنت جحش في قصة الإفك، وقد بوّب البخاري رحمه الله لذلك باباً بعنوان «تعديل النساء بعضهن بعضاً». وجاء تأكيد الخطيب البغدادي صريحاً: «فإذا ثبت أن خبر المرأة العدل مقبول فكذلك يكون قبول تعديلها؛ لأن تعديلها إخبار عن حال المشهود له».

المحور الخامس: القواعد المستخلصة من الممارسة العملية للصحابيات.

القاعدة الأولى: العلم المباشر بالواقعة يُقدَّم على النقل عنها، وهو ما جسّدته عائشة رضي الله عنها في مراجعتها لروايات الصحابة.

القاعدة الثانية: الردّ يكون بتقديم البديل الصحيح لا بالإنكار المجرد؛ فمن ردّ رواية لزمه أن يُبيّن الرواية الأصح في موضعها.

القاعدة الثالثة: جرح الرواية لا يستلزم جرح الراوي بإطلاق؛ فالثقة الضابط قد يهم في تفصيل ولا يُسقطه ذلك من مرتبة الثقة. وقد جسّدت عائشة وأم سلمة وحفصة وميمونة وأم عطية رضوان الله عليهن هذا

الأصل في مراجعتهن للروايات مع إبقاء الثناء على رواتها.

القاعدة الرابعة: الجرح مقيّد بالدليل والحاجة لا يتعداهما؛ وقد ظهر ذلك في أن الصحابيات لم يتكلمن في الرواة إلا حين دعت الحاجة إلى بيان الحق وصون السنة، لا ابتداءً ولا اعتداءً.

المحور السادس: سبب قلة النماذج المنقولة وبيانه. لاحظ أهل العلم قلة ما وصلنا عن النساء في هذا الباب بالمقارنة بما وصل عن الرجال. وقد فسّر محيي الدين الحنفي رحمه الله هذه الظاهرة بقوله: «ما وقع لي من العالمات من أصحابنا إلا القليل جداً، ولا شك أن مبنى أحوال النساء على الستر». وهذا التفسير صحيح من الناحية الاجتماعية والتاريخية؛ فالمرأة لم تكن مقيّدة بمانع شرعي من ممارسة الجرح والتعديل، وإنما طبيعة حالها المبنية على الستر جعلت أقوالها وتصريحاتها تصل إلينا أندر مما وصل عن الرجال.

٤.الخاتمة: النتائج والتوصيات

في نهاية هذه الدراسة تُجمل الباحثة أبرز ما أسفرت عنه من نتائج، وتُقدّم جملة من التوصيات التي تراها ضرورية لمن يرغب في استكمال هذا الجهد البحثي.

أولاً: النتائج

١. ثبت بالاستقراء الموثّق من المصادر الأصيلة أن الصحابيات رضوان الله عنهن مارسن الجرح والتعديل فعلاً لا قولاً نظرياً مجرداً، وأن ممارستهن قامت على أسس منهجية متسقة لا تتوقف على الجنس بل على العلم والعدل والورع.

٢. تصدّرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مشهد الجرح والتعديل في عصر الصحابة، وقد صرّح ابن عدي والحاكم وابن الصلاح رحمهم الله بمكانتها في هذا الفن ووضعوها ضمن من تكلموا في الرجال والروايات من الصحابة الكرام.

٣. كشفت الدراسة أن ما صدر عن عائشة رضي الله عنها من مراجعات واستدراكات لم يكن قدحاً في عدالة الصحابة الكرام، بل كان تصحيحاً لأوهام عارضة في تفاصيل الروايات مع الإقرار التام بفضل الرواة وعدالتهم في أصل أحوالهم.

٤. أرست ممارسة الصحابيات جملةً من القواعد النقدية المبكرة التي صارت لاحقاً من أصول علم الجرح والتعديل: الفصل بين جرح الرواية وجرح الراوي، والتصحيح بتقديم البديل لا بالرفض المجرد، وتقييد الجرح بالدليل والحاجة.

٥. أسهمت كل واحدة من الصحابيات السبع اللواتي تناولتهن الدراسة بما يختص بها: فكانت أسماء مثالاً على الجرح المستند إلى النص، وأم سلمة نموذجاً على المراجعة الصريحة، وأم عطية وحفصة نموذجاً

على الضبط التطبيقي، وعائشة نموذجاً على الاستدراك بالعلم المباشر، وفاطمة بنت قيس نموذجاً على صمود الرواية أمام النقد، وميمونة نموذجاً على التعديل بحجية الرواية.

٦. قلة ما وصلنا عن الصحابيات في هذا العلم لا ترجع إلى مانع شرعي بل إلى طبيعة الوضع الاجتماعي وحال الستر الذي كان مبنى أحوال النساء عليه.

٧. الراجح من أقوال أهل الحديث جواز تعديل المرأة وتجريحها للرواة قياساً صحيحاً على قبول روايتها، ويتقوى هذا بما ثبت في السنة من اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم على قول بعض الصحابيات في تزكية غيرهن.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت:٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت:٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو (ت:٦٤٣هـ)، معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت:٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- ابن جماعة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكناني الحموي الشافعي (ت:٧٣٣هـ)، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر – دمشق، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت:٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩م.
- ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير – الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة

الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

- ابن عدي، أبو أحمد عبد الله الجرجاني (ت:٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت:٧٧٤هـ)، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، تحقيق: د. شادي بن محمد آل نعمان، مركز النعمان – اليمن، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- أبو شهبة، محمد بن سويلم، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي.
- الأصبهاني، أبو نعيم (ت:٤٣٥هـ)، كتاب الضعفاء، تحقيق: فاروق حمادة، دار الثقافة – الدار البيضاء.
- آل سلمان، أبو عبيدة مشهور بن حسن، عناية المرأة بالحديث النبوي – صفحات مضيئة من حياة المحدثات حتى القرن الثالث عشر الهجري، دار ابن عفان – الخبر، ط١، ١٤١٤هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت:٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت:١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت:٤٠٥هـ)، معرفة علوم الحديث، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.
- الحسبان، خلود محمد سويلم، مراتب النساء في الجرح والتعديل في تقريب التهذيب لابن حجر،

مجلة دراسات–علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، ٢٠٢٠م.

- حمادة، فاروق، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل دراسة منهجية في علوم الحديث، دار السلام – مصر، ط٢، ٢٠١٥م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت:٤٦٣هـ)، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية – المدينة المنورة.
- الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، تحقيق: محمد سعيد خطي اوغلي، دار إحياء السنة النبوية – أنقرة.
- الذهبي، الموقظة في علم مصطلح الحديث، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٢، ١٤١٢هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت:٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٧هـ.
- الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:٧٩٤هـ)، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث – مصر، ط١، ١٤١٣هـ.
- الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبدالله (ت:٢٤١هـ)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي ودار الخاني، ط١، ١٤٠٨هـ.
- العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم (ت:٨٠٦هـ)، شرح التبصرة والتذكرة (ألفية العراقي)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ.
- محيي الدين الحنفي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي (ت:٧٧٥هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه – كراتشي.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت:٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الورميلي، فرست عبد الله يحيى، مفهوم العدالة وضوابطها عند المحدثين، مجلة جامعة زاخو، إقليم كوردستان – العراق، مجلد ١، عدد ٢، ٢٠١٣م.

References

- Ibn al-Athir, Abu al-Hassan Ali bin Abi al-Karam al-Shaybani (d. 630 AH), Asad al-Ghaba fi Marafah al-Sahaba, research: Ali Muhammad Ma'awad and Adel Ahmed Abd al-Mawat, Dar al-Kutub al-Elamiya - Beirut, Volume 1, 1415 AH.
- .Ibn al-Athir, Majid al-Din Abu al-Sadat al-Mubarak ibn Muhammad al-Jazari (d: 606 AH), Al-Yinaa fi Gharib al-Hadith and Al-Athr, research: Tahir Ahmed al-Zawi and Mahmoud Muhammad al-Tanahi, Al-Maqboeh Al-Elamiya - Beirut, 2019 AH.
- Ibn al-Salah, Uthman ibn Abd al-Rahman Abu Amr (d: 643 AH), Knowledge of the Types of Hadith Sciences (Introduction of Ibn al-Salah), research: Abdul Latif al-Hamim and Maher Yassin al-Fahl, Dar al-Kutub Al-Elamiya, Vol. 1, 1423 AH.
- Ibn Batal, Abu al-Hasan Ali bin Khalaf bin Abdul Malik (d: 449 AH), Sahih al-Bukhari commentary, research: Abu Tamim Yasir bin Ibrahim, Al-Rashad Library - Riyadh, volume 2, 1423 AH.
- Ibn Jama'ah, Abu Abdullah Muhammad bin Ibrahim al-Kanani al-Hamwi al-Shafi'i (d: 733 AH), al-Manhal al-Ravi in the summary of the sciences of the hadith of the prophet, research: Muhyiddin Abd al-Rahman Ramadan, Dar al-Fikr - Damascus, volume 2, 1406 AH.
- Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Muhammad (d: 852 AH), Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari, Research: Muhammad Fouad Abdul Baqi and Akhroun, Dar al-Marafa - Beirut, 1379 AD.
- Ibn Hajar al-Asqalani, a review of the explanation of the elite of thought in the term Ahl al-Athar, research: Abdullah bin Daifullah al-Rahili, Safir Press - Riyadh, volume 1, 1422 AH.
- Ibn Abd al-Barr, Abu Umar Yusuf bin Abd Allah al-Nimri al-Qurtubi (d: 463 AH), Al-Asim in the Knowledge of the Companions, research: Ali Muhammad al-Bajawi, Dar Al-Jil - Beirut, volume 1, 1412 AH.
- Ibn Udi, Abu Ahmed Abd Allah al-Jarjani (d: 365 AH), Al-Kameel fi Tasha'a al-Rijal, Research: Adel Ahmad Abd al-Mawatif and Ali Muhammad Ma'awad, Dar al-Kutub Al-Elamiya - Beirut, volume 1, 1418 AH.
- Ibn Faris, Ahmad bin Faris bin Zakaria (d: 395 AH), Ma'ajm Maqaays al-Laghga, research: Abd al-Salam Muhammad Haroon, Dar al-Fikr, 2019 AH.

Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Elamiya - Beirut, volume 3, 1424 AH.

- Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa bin Sawra (d: 279 AH), Sunan al-Tirmidhi, research: Ahmed Muhammad Shakir and others, Dar İhiya al-Turath al-Arabi - Beirut.
- Haji Khalifa, Mustafa bin Abdullah al-Qastantini (d: 1067 AH), Kafs al-Dhanun on the names of books and literature, Al-Muthani Muqatah - Baghdad, 1941.
- Al-Hakim Al-Nisaburi, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah (d: 405 AH), Knowledge of Hadith Sciences, Dar Al-Kutub Al-Elamiya - Beirut, volume 2, 1397 AH.
- Al-Hasban, Khalud Mohammad Suylam, The Ranks of Women in Al-Jarh and Al-Mudhd in the Approaching of Ibn Hajar's Tahdeeb, Journal of Studies-Al-Olum al-Sharia and Law, Al-Jama'a Al-Jordaniya, 2020.
- Hamada, Farooq, Al-Manhaj al-Islami fi al-Jarh and al-Mudhamdah, a study of methodology in hadith sciences, Dar es Salaam - Egypt, Volume 2, 2015.
- Al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmed bin Ali bin Thabit (d. 463 AH), Al-Iqqih fi il al-Rawa'a, research: Abu Abdullah al-Suraqi and Ibrahim Hamdi
- Ibn Katheer, Abul al-Fada Ismail bin Umar (T: 774 AH), Completed in Al-Jarh and Al-Mudhud, and Knowledge of Al-Thaqat and Fazafa and Majahil, Research: D. Shadi bin Muhammad Al-Nu'man, Al-Nu'man center - Yemen, Volume 1, 1432 AH.
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram al-Afriki (d: 711 AH), Lasan al-Arab, Dar Sadir - Beirut, volume 3, 1414 AH.
- Abu Shahba, Muhammad bin Suylem, al-Wasit in the sciences and the meaning of hadith, Dar al-Fikr al-Arabi.
- Al-Asbahani, Abu Na'im (d: 435 AH), Kitab al-Zafaa, research: Farouk Hamada, Dar al-Taqwa - Al-Dar al-Bayda.
- Al-Salman, Abu Ubaidah Mashoor bin Hasan, Care of women with hadith al-Nabawi - illuminating pages of my Hayat al-Muhadithat until the third quarter of the 10th Hijri, Dar Ibn Affan - Al-Khobar, volume 1, 1414 AH.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (d: 256 AH), Sahih al-Bukhari, research: Muhammad Zuhair bin Nasir al-Nasser, Dar Tawq al-Najat, volume 1, 1422 AH.
- Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmed bin Al-Hussein (d: 458 AH), Al-Sunan Al-Kubara, Research: Muhammad Abd al-

al-Madani, al-Maqabah al-Elamiya - Al-Madinah al-Munawarah.

- Al-Khatib al-Baghdadi, Sharaf Sahabh al-Hadith, research: Muhammad Saeed Khati Oghli, Dar Ihiya Sunnah al-Nabawiyya - Ankara.
- Al-Dahhabi, Al-Muqazah fi 'ilm al-Mutafiq al-Hadith, attention to: Abd al-Fattah Abu Ghada, Islamic Press Library in Aleppo, Vol. 2, 1412 AH.